الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التـــعـــلـــيـــم العالي والبحث العلمي
جامعة – تلمسان –

الملحقة الجامعية- مغنية-
قسم اللغة العربية وآدابها

بحث تقريري لنيل شهادة الليسانس (LMD)تخصص آداب

جماليات شعر المقاومة عند مفدي زكريا

من إعداد الطالبة :
❖ أمبارك فوزية

الأستاذة المشرفة :
* د. بن عدي نورية

السنة الجامعية : 2014/2013

شكرو تقدير:

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"

من منطلق هذا الحديث أتوجه إلى الله تبارك وتعالى بالحمد والثناء والشكر كما يحبه ويرضاه على أنه وفقني في إنجاز هذا العمل على ما فيه من ضعف البشر وقصر النظر فما كنت فيه من صواب فهو من محض فضله سبحانه وتعالى ومنه علينا،فله الحمد والشكر ونسأل الله العفو والغفران.

أتقدم بالشكر الخاص إلى كل :

الأساتذة الذين منوا علينا بمساعدتهم وتوجيهاتهم القيمة ومعلوماتهم النيرة أشكر بالأخص الأستاذة المشرفة "د:نورية بن عدي" الذي أنارت لنا طريقا كان مظلما بالنسبة لنا.

وإلى كل من ساعدني في إتمام هذا العمل المتواضع ولو بكلمة طيبة وابتسامة صادقة،إليكم كلكم أخلص التشكرات.

إهداء:

أهدي هذا العمل إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من حاكت سعادتي بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة.

إلى من علمني النجاح والصبر إلى من أفتقده في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه إلى الأدب العزيز–رحمه الله–.

إلى من يحملون في عيونهم ذكريات طفولتي وشبابي إخوتي وأخواتي وخاصة أختي الأكبر منا سنًا –غوتية– .

إلى الكتكوتة "فاطمة الزهراء" وإلى أولاد أختي (سيف الدين، جواد ،أحمد، أيوب فاتح) حفظهم الله وأطال في عمرهم.

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي صديقاتي (فاطمة الزهراء، عتيقة) وإلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد.

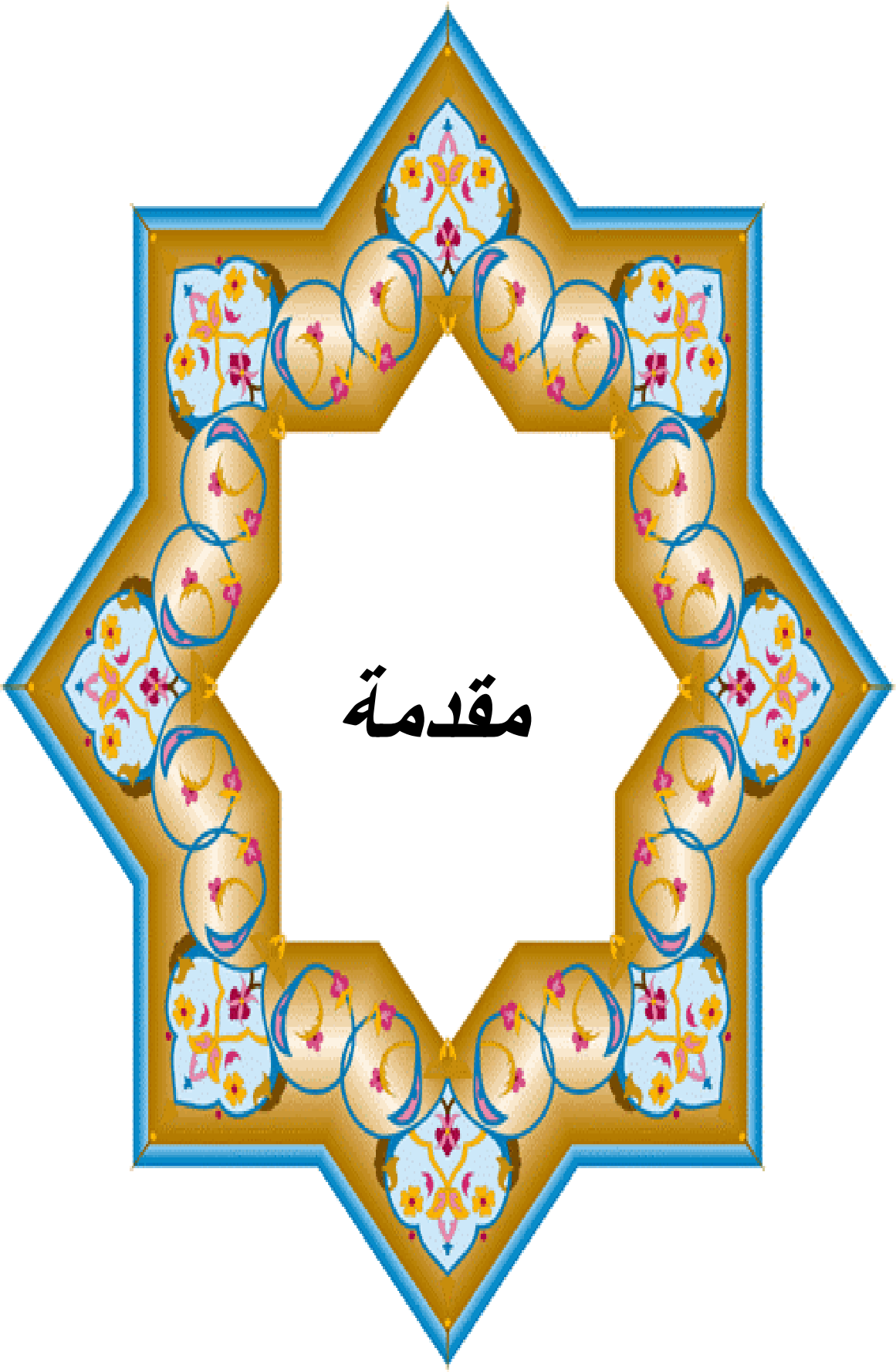
مقدمة

مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم.

الحمد لله الذي خلقنا و لم يتركنا سدى وأنعم علينا بنعمة الوجود ثم بنعمة الإيمان والهدى وأكرمنا بالرسول المصطفى محمد عليه أزكى الصلاة والسلام،وبصحابته الطاهرين أهل السداد والرشاد والقدوة رضي الله عنهم وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

يعد شعر المقاومة من بين الأغراض الشعرية الأكثر تعبيرا عما يجري في الوطن العربي،فهو يعكس صورة حية تجسد معاناة المجتمع العربي وكفاحه الطويل ضد الاحتلال.

وعليه فإن الدافع من وراء اختياري لموضوع "جماليات شعر المقاومة عند مفدي زكرياء" هو الرغبة في الاطلاع على تفاصيله،وأهم قضاياه في محاولة منا الإجابة عن مجموعة من التساؤلات عن حقيقة شعر المقاومة؟وأغلب قضاياه ،وما مدى ارتقائه من الناحية الفنية والجمالية؟

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن نتخذ من المنهج التاريخي أداة في تتبع السيرة الشخصية والأدبية لمفدي زكرياء ،والاستعانة بالمنهج الوصفي في تتبع طبيعة شعر المقاومة ومعنا مينه وأهم القضايا التي تعرض لها وكذا الاعتماد على المنهج التحليلي أثناء وقفاتنا التحليلية لقصيدة الذبيح الصاعد لمفدي زكرياء.

كما اقتضت طبيعة البحث أن نقسمه إلى مقدمة ،توطئة تناولنا فيها الثورة الجزائرية ومفهوم البطولة بشكل عام ،ثم وزعنا المادة في شكل فصلين ففي الأول تعرضنا لشعر المقاومة:ماهيته، وبعض قضاياه،وجوانبه الفنية وفي الآخر وقفنا على جماليات قصيدة المقاومة عند مفدي زكرياء،فقسمنا جهدنا بين الحديث عن السيرة الشخصية وبين الحديث عن السيرة الذاتية،وأعقبنا ذلك كله بنموذج تطبيقي تضمن قصيدة الذبيح الصاعد،وكانت الخاتمة عبارة عن حديث موجز حول موضوع البحث.

ومن المصادر والمراجع التي كانت غير عون لي في رحلة بحثي هذا أكثر:

*اللهب المقدس لمفدي زكرياء.

*شعر الثورة عند مفدي زكرياء يحكى الشيخ صالح.

*الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير لنور سليمان.

*أدب المقاومة،غالي شكري.

تلك على العموم أهم العناصر التي تعرضت لها في هذه الدراسة المتواضعة،نأمل أن نكون قد وفقنا من خلال هذا العمل في الإلمام ـــبمختلف جوانب هذا الموضوع وإن كنا لا ندعي فيه الكمال.

توطئة:

الثورة الجزائرية
ومفهوم البطولة

توطئة:الثورة الجزائرية ومفهومالبطولة

يحلو لكثير من الناس أنه يردد أن الثورة الجزائرية ليست ثورة بالمعنى الصحيح لكلمة ثورة,باعتبار الثورة حركة عامة تستهدف التغيير الجذري الشامل لواقع و أوضاع متعفنة تنسفها من الأساس عن طريق صراع طبقي ,و يرون أنها –أي الثورة الجزائرية مجرد حرب قامت بين مواطنين أصلا في الأرض, وبين عدو و غاز, و ذلك لهدف تحرير الأرض و الاستقلال لا غير,و يركزون على أن الثورة الحقيقية تقوم على أساس الصراع الطبقي, الشيء الذي ينعدم –في نظرهم–في ثورة الجزائر هذا من جهة,و من جهة أخرى فلأنه السبب الكامن وراء هذه المقولة ليس هو خطأ النظرية المجردة بقدر تطبيقها على الواقع الجزائري و فرضها بحرفيتها عليه دون مراعاة اختلافات بين المجتمعات.

فالصراع على الساحة الجزائرية قبيل ل:ندلاع الثورة كان قائما على أشده لكن لا على أساس طبقي,بل على أساس إيديولوجي,في البداية, لكن سرعان ما اكتسب طرفاه بعض سمات طبقية باهتة فيما بعد كان الصراع يدور بين كتلتين:

*كتلة الوطنين الجزائريين بما فيهم من علماء و أحزاب ثورية. المبدأ,و سواد الشعب الذي لم يرضى يوما بوجود المستعمر إلا اسم الكافر, و ابن الكافر

* الكتلة الأخرى:هي كتلة الموالين لفرنسا بما فيه من معمرين مختلفي الجنسيات و من قلة من الجزائريين استمالهم إليه المستعمر من "قياد" و "بشوات" و "أغوات" و من يدور في فلكهم

و لكن سرعان ما تدخلت ردود فعل المستعمر اتجاه كل من الطرفين,لتخلق فروقا طبقية بينهما ,فقد أخذت تلك السياسة المنتهجة تتم بالسخاء في منح الامتيازات للموالين[1].

[1] شعر الثورة عند مفدي زكرياء ,يحي الشيخ صالح , دار كتاب البعث قسنطينة ,الجزائر د/ط 1987 ص83/82

لفرنسا , مقابل الاضطهادو التشريد و التضييق , للطرف المعادي للاستعمار و باختصار فالصراع الطبقي لم يكن أساس الثورة الجزائري , و ان عرفته ممثلاً على الأقل في الفرق الصارخ بين المستوى الاقتصادي عند كل سواد الشعب الجزائري من جهة , و بين المعمرين و قلة من الجزائريين من جهة ثانية

إن الثورة الجزائرية لم تقم على المستعمر لوجوده السياسي و العسكري فحسب, بل أيضاً لوجوده الاقتصادي , و من نتج عنه من أوضاع متردية بالنسبة لعامة الشعب , ملامحها الفقر و المرض و الجهل ... هذا الصراع الطبقي أو الاقتصادي- كما أسلفنا – لا يتم داخل الشعب الجزائري نفسه , و إنما بين الجزائريين و المعمرين , فالمعمر هو السيد على أرض الجزائر , و أبنائها عبيده , فالمعمر يعيش سعيداً بينما الجزائري (صاحب الدار) يشق و يضنك فيها , المعمر يسكن القصور المشيدة بينما صاحب الدار يظل في العراء و المعمر الدخيل ينال العيش الرغيد في الجزائر , بينما يعدم أبناؤها " القوت " المعمر يستبيح حمى الجزائر و يرتع فيها و يستقر عليها بينما ابنها يعيش الطرد و التشرد .

ان ثورة الجزائر لم تقم إلا باتحاد بين إرادة الله و إرادة الشعب فالله يأمر الشعب ان يكون حرباً على المستعمر الذي تجاوز الحدود و عاث في الأرض فساداً و الشعب يطلب من الله ان يكون عوناً له في ثورته تلك على الظلم و الطغيان و كانت النتيجة قراراً من الطرفين أحدث العجب العجاب , و إذا كان الثوار الجزائريون لا يملكون ما عند المستعمر من عتاد و سلاح و قوة تكنولوجية متطورة . فقد امتلكوا الإرادة و الكلمة التي استطاع قائدها إيصال عذاب و آلام هذا الشعب إلى كل أذن عربية و استطاع أن يصل إلى العالم كله [1]

و قد سار هذا الشعر في خط المقاومة المسلحة التي كان احد أقطابها إبان الاحتلال, الأمير عبد القادر الجزائري الذي لقب

[1] شعر الثورة عند مفذي زكرياء , يحي الشيخ صالح ,ص 83 و مبعدها

بأمير السيف و القلم[1] و كان شعر الأمير أكثر متانة من شعر معاصريه نظراً لثقافته الدينية و الفقهية , فقد تغنى بشجاعة جنوده في الجهاد بأسلوب ملحمي يشابه وصف عنترة بن شداد لإحدى معاركه مع الأعداء[2] فشعر الأمير يطفح بمعاني السمو و تمجيد البطولة و الاعتزاز بالشخصية القومية و النخوة العربية [3]

[1] جريدة الأصالة , الجزائر في الأدب المغربي الحديث و المعاصر عباس جراري داع نوفمبر –ديسمبر ص 69

[2] الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير , نور سلمان .دار العلم للملايين بيروت – ط1- 1981 ص 184/183 .

[3] محاضرات في الشعر الجزائري الحديث و المعاصر ،عثمان حشلاف,المدرسة العليا للاساتدة في الاداب والانسانية ص5

الفصل الأول

شعر المقاومة

المبحث الأول: مفهوم شعر المقاومة

يمكن القول أن الشعر هو فن المقاومة بشكل عام , لأنه أكثر الأنواع الأدبية قدرة على امتصاص رحيق الكارثة و مقاومتها في حينها فشعر المقاومة إبان الحرب يحتل مكاناً خاصاً في تسجيل المعارك الوطنية ضد العدو , و هو بصورة أخرى يضمن لها الذيوع و الانتشار بما يحتويه من وقع على الأسماع و القلوب .

و لعل شعر الحب و شعر الحرب يحتلان صدارة الأغراض المعروفة فكلاهما يعتمد على حرارة الانفعال التي يسهل انتقالها بالعدوى إذا ما كان المناخ العام و الخاص يهيئ المجتمع و الأفراد لهذه العدوى[1]

لقد كان شعر المقاومة متفائلاً منذ البدء ، و لم يكن هذا التفاؤل ضرباً من الفراغ , أو وهماً مقامراً , لكنه كان نتاجاً معافى و شديد المراس لإدراك عميق لأبعاد المعركة و انتساباً أصيلاً لجماهيرها الحقيقة و قضاياها , هدفه المقاومة و أداتها في آن واحد و إذا نحن أطلقنا شعر المقاومة من أرض الالتزام و من التزام الأرض , كشف لنا عن طريق الممارسة و المواجهة أعماقه و أبعاده , و حقق في هذا النطاق – برغم من كل المصاعب التي لا تصدق – توجهاً فخوراً من حيث المضمون و الشكل على السواء .

و لذلك فإن شعر المقاومة , و قد ربط نفسه إلى أصوله و عرف أفاقه و التزم بارتباطاته الأصيلة , لم يعرف ظاهرة التخلي , و لا التنصل , و لا العتاب و العويل , بل كان يمارس إدراكه لدوره ومسؤولياته و لا يحجب نفسه عنها وراء " ستارة الضجر " أو المزايدة الرخيصة أو المزاح الذي تزلزله أصغر ريح , فهو لم يكن رفاهاً , و لكنه كان دائماً التزاماً بالسلاح و الجمال و المثل معاً[2]

[1] أدب المقاومة , غالي شكري , دار المعارف مصر –القاهرة – د/ط 1970 ص 352

[2] الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948- 1968) ,غسان كنفاني , مؤسسة الأبحاث العربية , بيروت ط1 1968 ص 99/98

و شاعر المقاومة الحقيقي يعلم يقينا أن الكلمة في بساطتها و تواضعها هي سلاحه , و لكن هذه الكلمة بعينها في نقائها و توريتها و صدقها سلاح فعال بينما لا تخرج مفرقعات التراريين عن كونّها أسلحة فاسدة , عثرت في مناخ الهزيمة على سوق رائجة , تحك فيها الجرح الملتهب , فتهاج الأشجان و تثور الأحن و تمس الوتر المشدود في القلب الكبير , فيعزف دما .[1]

[1] أدب المقاومة , غاني شكري ص 391

المبحث الثاني : شعر المقاومات العربية (القضية الفلسطينية و أبعادها)

إنّ أدب المقاومة في فلسطين المحتلة أصبح أمرا محتوماً فهو قد حدد دوره بنفسه, خاصة بالنسبة لشعراء المقاومة الذين جعلوا الشعر سلاح, لم تظهر كفاءته و جدارته بعد التزامه بدوره المقاوم الواعي. و لذلك يمكن حصر أبعاده في :

1 – البعد الاجتماعي: ا(الالتزام)

و بوسعنا أن نقول أيضا أن الالتزام بالقضية الوطنية , الالتزام الواعي و الإطار الذي استطاع أن يقود خطوات أدب المقاومة في فلسطين المحتلة نحو مسؤولياته دون أن يفقد أياً من أبعاده هذه الأبعاد على تعددها , تدور في فلك واحد هو فلك المعركة ضد الاحتلال الإسرائيلي و من هذا المنطلق بالذات سنلاحظ أن شعر المقاومة , مثلاً ,على عكس معظم الشعر العربي المعاصر , لا يبدأ بالاستخفاف بقيمة الكلمة في المعركة القاسية , بل يدرك دورها و يقدسه و يعتبره مسألة جوهرية لا غنى عنها[1] .

إننا نلاحظ مرت أخرى محتويات ذلك الإطار الذي أسميناه الالتزام , و نحن نرى الآن كيف يصر الشعراء على بعدي موقفهم المقاوم, الاجتماعي و السياسي في وقت واحد , انه التزام نحو الوطن و المحرر من خلال إدراك دور الكلمة لا الاستهانة بها و اعتبارها مجرد رفاه إن شعراء المقاومة في فلسطين المحتلة يمضون في ممارستهم للمسؤولية إلى حد أبعد

فقضية الالتزام ليست نظرية مجردة, و كذلك ليست قضية التحرير, و الرؤيا الواضحة لأبعاد القضيتين كمبادئ و كرسائل لا تحتمل عند أدباء المقاومة في فلسطين المحتلة غموضا أو تشويشاً أو مساومة[2]

[1] الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948- 1968) غسان كنفاني ص 65
[2] المرجع نفسه ص 70 / 71

و هذا بالذات ما جعل أدب المقاومة الذي رأيناه في فلسطين المحتلة خلال السنوات العشر الماضية أدبًا لا ينوح و لا يبكي , لا يستسلم و لا ييأس , و لا يناقض نفسه و يمر عبر تشنجات عصبية و اهتزازات ناتجة عن سوء وعي الموقف على حقيقته ،لأنّ رؤياه لم تكن ارتجالاً عاطفياً , و لكن وعياً عميقاً و مسئولا لأبعاد المسألة التي وجد نفسه في صميمها , و لذلك فانه تجنب ظاهرة الانتكاسات الذاتية الرومانطيكية التي شهدها معظم الشعر العربي في هذه الآونة , و التي نلاحظ أنها تشتد و تأخذ طابع النواح و الهستيريا و التنصل ,كلما كانت تجربة الشاعر نفسه أكثر بعداً عن إدراك أبعاد التزاماته ووعيها في السابق إن هذا الكلام كله يقودنا الآن لمتابعة استكشاف الأبعاد التي التزم بها أدب المقاومة , و قد استعرضنا من قبل الالتزام الواعي كإطار هذه الأبعاد و استعرضنا قبل ذلك الالتزام بالبعد الاجتماعي المسألة المقاومة و هناك إلى جانب البعد الاجتماعي بعداً عالميًا و آخر عربياً

2/البعد العالمي:

فعالميته تأتي من إدراك هذا الشعر و بحركة الثورة في العالم,التي هي في نهاية المطاف المناخ الذي تنمو داخله الحركة الثورية المحلية تؤثر فيه و تتأثر به فكل ما يقرأ من أدب المقاومة يلفت نظرنا بصورة مدهشة كمًا و نوعًا فهو الإنتاج الذي فيه الثورات العالم و قضاياه الحرة, و قد تلخص لنا قصيدة "لمحمود درويش" اسمها "أناشيد كوبية" جوهر هذا الالتزام و معناه.

إن الالتزام بالبعد العالمي للمعركة كان دائما من ميزات شعر المقاومة و مع ذلك فإن هذا الالتزام لم يؤدي إلى تمييع الالتزام بالصيغة المباشرة للتزال,و لكنه أغناه و أعطاه معنى و عمقا و حافزا عكس تجارب كثيرة حدثت في الفترة الماضية في عدد من البلدان العربية.

إن وعي الالتزام بحركة الثورة في العالم يكتسب قيمته مما يؤديه[1]إلى وعي الالتزام بالثورة المحلية, و ليس من كونه صيغة رومانطيكية ذات طابع تنصلي عن طريقة المزايدة ,و هذا إدراك الذي عبر عنه

[1] الأدب الفلسفي المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968) غسان كنفاني ص 71 و ما بعدها

شعر المقاومة العربي بوضوح و مباشرة و حسم يضع البعد الإنساني في المقاومة في مكانه الصحيح,الذي يشكل حافزا و مسؤولية في آن واحد,و لكن الأمر يختلف من حيث الكم و النوع.

3/ البعد العربي:

إنّ طبيعة القضية الفلسطينية تضعها في مركز الوسط من التفاعلات العربية, و بالتالي فإنّ شعر المقاومة في فلسطين المحتلة يمكن أن يوصف بأنه الناطق بلسان تلك التفاعلات و المؤرخ لهالقد رأينا, باختصار أولا كيف يرتبط أدب المقاومة في فلسطين المحتلة ببعد اجتماعي و يطرح ولاءه للطبقة الكادحة التي على أكتافها تعلق المقاومة بنادقها و مصيرها.

و رأينا ثانيا:كيف يحافظ شعر المقاومة على هذا الارتباط الاجتماعي التقدمي في ممارسته لبعد آخر من أبعاده و هو بعد الالتزام بالثورات التحريرية في العالم, و رأينا ثالثا, كيف يرتبط أدب المقاومة ببعده العربي ارتباطا وثيقا راسخا,دون أن يفقد وضوح نظرته الاجتماعية في هذا الارتباط,و مع إدراك عميق لمعناه و ضرورته و أصالته,و رأينا أن هذه الارتباطات تحدث ضمن إطار من الالتزام بقدسية الكلمة و الإيمان الذي لا يتزعزع بدورها و قيمتها و التمسك بمسؤولياتها كسلاح أساسي في حركة المقاومة التي تشمل معنى أوسع بكثير من مجرد المقاومة المسلحة ,و لكننا قلنا أيضا أن هذه الارتباطات الثلاثة,تظل تدور حول محور أساسي هو التصدي الشجاع للمعركة المباشرة اليومية و القاسية و الباهظة الثمن, مع العدو المحتل الذي يحتم بثقل مباشر على صدر الوجود العربي, في فلسطين المحتلة[1]

و قد رأينا و قرأنا لعديد من الشعراء الجزائريين و كيف كان موقفهم من هذه القضية و سجلنا إحساسهم العميق و كيف عكسوا هذا الإحساس في شعرهم و قصائدهم ومن هؤلاء الشعراء نجد

[1] الأدب الفلسطيني تحت الاحتلال (1948-1968) غسان كنفاني ص77و ما بعدها

الشاعر"محمد العيد "و لعله أكثر الشعراء حديثا عن فلسطين و عن أحداثها الكبيرة والكثيرة وكذلك "عبد الكريم العقون"، و "موسى الأحمدي", و "مفدي زكرياء ", في قصيدته "رسالة الشعر في الدنيا المقدسة" و محمد الأخضر السائحي ,و "صالح خرفي "إضافة إلى شعراء آخرون.[1]

[1] ينظر :قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر , عبد الله الركيبي, دار الكتاب العربي الجزائر. د/ط 2009 ص 64 و ما بعدها.

المبحث الثالث: الجوانب الفنية لشعر المقاومة الجزائرية

إن من أبرز مميزات الشعر الجزائري أثناء المرحلة التحريرية اتسامه القوي بالثورة و التزامه الشديد بها،فلم يتجسد هذا في مواقف أغلب شعرائنا بانصهارهم في أتون الثورة فاعلين فحسب و إنما تجسد أيضا في رؤاهم الفكرية من خلال أطروحاتهم و معالجتهم لقضايا الثورة وقد تمثل ذلك في الملامح البارزة مثل إيمانهم القوي بالكفاح المسلح طريق تحرير, و ثقتهم الكاملة في انتصار الثورة مهما تكن التضحيات جسيمة و قواعد العدو مدمرة قطيعة إضافة إلى منظورهم الذي يعبر عن أصالة الشعب الجزائري لغة و دينا و احتمائهم بقواه الروحية و المعنوية, و إذا كانت لهذه الخصائص جوانب إيجابية في هذا الشعر فإن ذلك لا يعني أن ليست له جوانب سلبية و خاصة أن نحن نظرنا إليه من جانبه الفني.

فالحكم على الشعر بالنظر إليه من زاوية الموضوع و حده مخالف لمفاهيم الشعر البديهية بل لعل الموضوع في نظر النقد الأدبي في كثير من الحالات أقل استحقاقا بالدراسة ذلك لأن أي موضوع يصل للشعر و الأهم منه هو دراسة أسلوب الشاعر في معالجة الموضوع

و هذه النظرة الأحادية تتنافى و طبيعة الفن لأن العمل الفني من حيث هو كل إنما يتحقق من خلال هذا التداخل و التجاذب بين الشكل و المضمون فليست هناك قيمة حقيقية لعمل فني لا تتمثل فيه علاقة التأثير المتبادل بين شكله و مضمونه, و من ثم يتساقط كل نقد للشعر يقوم على أساس إيديولوجي صرف كما يتساقط كل نقد جمالي صرف....و هذه الصور الجدلية بين الشكل و المضمون ليست إلا انعكاسات لتلك الذات المنفردة و الذات الجماعية أي علاقة التداخل و التجاذب في الوقت نفسه بين الفنان الفرد و المجتمع الذي يعيش فيه[1]

[1] مجلة الثقافة, شعر الثورة من جانبه الفني, محمد ناصر, العدد86,جمادى الثانية,رجب 1405-مارس, أفريل 1985 ص 127/ 128

و من خلا هذا المنظور التكاملي الذي يولي الأهمية لجانبي الشكل و المضمون معًا نحاول أن ندرس بعض الظواهر الفنية المتعلقة بشعر الثورة, رأيناها ترتبط به ارتباطًا عضويًا

و لعل أبرز هذه الظواهر لفتًا للنظر هو اهتمام أغلب شعرائنا بالموضوع دون الاهتمام بالأسلوب في أعمالهم الشعرية,و عنايتهم بالفكرة و الموقف دون العناية بالجانب الفني المجسد للفكرة أو الموقف فقد كانت الروح الثورية تستبد بأغلبية الشعراء استبدادًا حماسيًا عارمًا بكيفية لم يستطيعوا معها إيجاد الفرصة للتأمل في تعابيرهم و صورهم و الملاحظ, أن بعض شعرائنا تفطنوا إلى هذا النقص في أعمالهم تلك,فراحوا يحاولون تبرير هذا النقص ببعض العوامل و الأسباب التي يرونها موضوعية,و يحسبونها مبررًا كافيًا,ففي ديوان " اللهب المقدس " نجد هذه النظرة الأحادية مطروحة و ذلك حين يقول مفدي زكريا "لم أعن في اللهب المقدس بالفن و الصناعة عنايتي بالتعبئة الثورية,و تصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطولة, و الشعر الحق في نظري إلهام لا فن و عفوية لا صناعة"[1]

حقا إن الشعر إلهام و عفوية, و لكن هذا لا يتنافى أبدًا من أن يكون في الوقت نفسه صناعة و فنًا,لأن الشاعر الحق لا يمكنه أن يفرق في عمله الشعري بين هذا و ذاك,و التفريق بين المضمون و الشكل في العمل الفني العظيم مخالف لبديهيات الفن نفسه إذ لا يشفع لأي مضمون مهما تكن شحنته الثورية عارمة,أن يتغاضى فيه عن جانب الفن,على أننا حين نعود إلى بعض قصائد "اللهب المقدس" نجد مفدي قد وقع في شرك الصناعة فعلا فإن القارئ لا يمكنه أن يتجاوز بعض المحسنات البديعية كالمقابلة و الجناس و الثورية, و بعض الصناعات اللفظية الأخرى مما يدل دلالة واضحة على التصنع.

[1] اللهب المقدس , مفدي زكرياء, موقف الشر و التوزيع, الجزائر ط4 2006ص4

إن المفهوم الذي يطرحه شعراء الثورة التحريرية هنا نابع من تصورهم للدور الذي يجب أن يلعبه الشعر الثوري , ووظيفة هذا الشعر , و علاقته بالجمهور أو دوره , يجب أن لا يختلف في شيء عن دور القائد المحمس الذي يدفع الجيوش أو يقودها إلى ساحة القتال [1]

و الواقع أن شعراءنا من خلال هذه النصوص قد وضعوا أيدينا على أساس التصور الذي وقع فيه أغلب شعراء الثورة.هذا التصور الذي دفعهم إلى اعتبار الشعر الثوري أني القيمة كالخطب الحماسية و المقالات السياسية و قد جاءهم هذا التصور فيما أحسب من إعطائهم القيمة الكبرى في العمل الشعري للموقف الفكري أو بعبارة أوضح للمضمون الثوري غاضين الطرف عما هو أساسي في الشعر من عناصر فنية أخرى كالصورة , و الخيال ,و البنية الشعرية .

و هذا المفهوم يقودنا حتماً إلى الحديث عن ظاهرة أخرى تتصل بالمفهوم السابق,و تتفرع عنه و هي طغيان النزعة الخطابية و الأسلوب المباشر في هذا الشعر . لقد نتج عن هذه النظرة . إن امتاز شعر الثورة بظاهرة العناية المفرطة بالصياغة اللفظية المباشرة دون العناية بإيحاءاتها و ظلالها , إيثار المباشرة الخطابية على التعبير بالصورة و الرمز و الأسطورة إلا فيما نذر,فقد بات الأسلوب الخطابي من مميزات أغلب الإنتاج الشعري, و نحسب أن الشعراء في هذه المرحلة كانوا على وعي أشد من شعراء المرحلة السابقة بالمتطلبات الفنية للغة الشعرية,و ما تتطلبه من إيحاء,و رمز, و لكن اهتمامهم انصب على المضمون دون الشكل محاولين تبرير ما عسى أن يلحق الجانب الفني في تعابيرهم المباشرة من ضعف, ذلك أننا نجد أغلب الشعراء في هذه الفترة يصرحون بأنهم على وعي كامل بهذا النقص في شعرهم و لكنهم ارتضوه مقابل الاستجابة لما يتطلبه منهم الموقف الثوري [2]من لغة مباشرة, حماسية حسبما أوضحنا ذلك فيما سبق.

[1] :ينظر:المصدر نفسه ص45

[2] ينظر: تاريخ الأدب الجزائري,محمد الطمار,ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر د/ط 2006

لقد عبر أولئك الشعراء من خلال بعض النصوص النثرية عن تصورهم بأن الشعر الثوري آني القيمة كالخطب الحماسية, و المقالات السياسية,حسبه قيمة أن يؤدي رسالته الثورية في إبانة,يقول صالح خرفي"إنّ الثورة في حاجة إلى صوت يحمس لها أكثر من حاجتها إلى نغمة تتغنى بها"[1] و هو لهذه الرؤيّة لا يستنكف من أن يتحول من شاعر إلى خطيب,ما دامت الثورة المشتعلةالتي تلهمه تجعله و كأنّه على صخرة من صخور الأطلس يهيب بالثائرين.

حقا إن الدارس للشعر الجزائري ليعجب لهذه القصائد الكثيرة ذات المضمون الاجتماعي العام, و يحمد لهؤلاء الشعراء مواقفهم النضالية التي لا تعير لهذه النزعة الذاتية أدنى اعتبار إلى حد بات معه نكران الذات طابعا يميز هذا الشعر بصفة عامة,قد يكون هذا الموقف من شعرنا مما يشرفه حقا,هذا لو كان العمل الشعري يقتصر على الموضوعات ذات الطابع العام وحدها أو أنّ الالتزام سمة القصائد ذات النبض الجماعي وحدها,إنّ طبيعة العمل الشعري هي في حدّ ذاتها محاولة تجاوز الحدود الذاتيّة للاتصال بحدود الغير لأنّ الشاعر حتى و هو يتغنى بنفسه إنّما يريد تجاوز حدود ذاتيته إلى حدود غيره,قصد إلى ذلك أم لم يقصد و بعض النقاد يذهبون إلى أن جميع العواطف التي يحتويها الأدب الصادق هي عواطف فردية استولت على الأديب نفسه, و كان استيلاؤها عليه من القوة و الحرارة بحيث دفعته دفعا إلى التنفيس عنّها في صيغة فنية يحاول بها أن يثير نظيرها في غيره من الناس

أليس الشاعر حين يصعد زفرة حنين إلى أهله ووطنه أو آهة تلهف إلى زوجته،أو عندما تنفلت منه دمعة ألم من الحياة وشقائها وهو يعاني عذاب السجن أو يتململ على فراش الاغتراب إنما يجسم بذلك إنسانيتة[2].

[1] مجلة الثقافة, العدد 86, محمد ناصر

[2] :مجلة الثقافة،العدد 86 ،محمد ناصر،ص 136

...وما دامت الحياة الإنسانية لا تناقض الحياة الوطنية فإنه من غير المعقول أن نحكم على شاعر بنقص الحس الوطني لمجرد انصرافه إلى تصوير الجانب الإنساني من حياته التي يشاركه فيها الناس جميعا.

مع أن الواقع الجلي يؤكد أن الشاعر الذي يعيش تجارب عصره بكل أبعادها لا يمكنه أن ينسى هذه العاطفة أو يلغيها من وجوده الشعري والشاعر الحق-رغم كل الاعتبارات الاجتماعية-هو الذي يستطيع بمواهبه الفنية وقدراته البارعة أن يمزج بين عواطفه الذاتية وبين عواطف المتلقين حوله من خلال معالجته لأي موضوع.

ومن أنبل القصائد الثورية وأصدقها نجد تلك التي يتغنى فيها الشعراء بحنينهم إلى الأهل والوطن والحرية،ومن أصدقها فيما نحسب تلك التي كتبها شعراء داخل المعتقلات والسجون لأنها تجسد بعفوية لحظك الضعف الإنساني حين يستبد به القلق وتتيقظ في صدره المواجد وينتفض به الحنين والشوق إلى الأم الرؤوم ،أو الزوج الوفية أو فلذات الكبد.[1]

إن نكران الذات صفة ميزت الشعر الثوري وجعلت الشعراء يتعالون على عواطفهم الشخصية،ولكن الإنسان قد تعتريه لحظة من لحظات الضعف التي جبل عليها فلا يستطيع مقاومة تلك العواطف،ومن أنبل العواطف الحنين إلى الوطن،والهيام بكل ما فيه ومن فيه ويتعاظم هذا الحنين وذاك الهيام ،إذا كان الوطن فاتنا مثل الجزائر التي أبدع الله صنعها جمالا وجلالا،وتكون الحرقة شديدة إذا أجبر الإنسان على مفارقة وطنه مكرها،وتكون أشد إذا لم يستطيع أن يعرف لغربته عدا، ومن تم تهلك هذه الأنفس الحساسة متأرجحة الأمل واليأس.

لقد كانت الجزائر كذلك فاتنة جدا،ولكن فتنتها ازدادت إغراء واكتسبت طابع الجمال المتأبي،والحسن المتعالي وهي تخوض معركة الشرف ويحلل أرضها الطيبة دم الكبرياء والآباء،وهكذا يصبح للحنين معنيات:معنى الحب,ومعنى الاعتزاز.

[1] :اللهب المقدس ، مفدي زكرياء، ص 315

إن ضعف الجانب الذاتي في شعر الثورة يعود أساسا إلى تصور خاطئ لدور الشاعر في المجتمع،وحيوية العلاقة بينه وبين أفراد مجتمعه ككل لقد كان المفروض أن ينظر الشاعر إلى نفسه كما ينظر إليها الشاعر الجاهلي على الأقل حيث كان الشاعر لا يمثل الرأس المفكر بقدر ما يمثل المجتمع بكل شرائحه،وبما فيه من صفات إنسانية وما يدور فيه من أهواء ومخاوف ومطامح وآمال،ومن ثم فإن الشاعر مطالب بأن يرفع كل حجاب بينه وبين قارئه من أجل أن يكون واضح المعالم بين السمات والشعر لا يمكن أن يرتقي إلا على حساب التبادل الصريح في العواطف بين الشاعر وقارئه.

إن عنصر الصدق شرط بدائي في كل عمل فني...والمقصود بالصدق ان يكون الشاعر صادقا مع نفسه فيما عبر عنه ...وحين نقول أن الشاعر صادق مع نفسه فإننا نعبر بطريقة أخرى عن صدقه معنا،لأنه عبر عما كنا نود التعبير عنه،وعلى هذا الأساس نقبل قصيدته أو نرفضها ولا بد من الإشارة هنا بأن شعراءنا لم يكونوا وحدهم في هذا التصور الذي صدر عنه أغلب الشعراء في الوطن العربي ولاسيما في الخمسينيات إبان مرور الوطن العربي من مرحلة الاستعمار إلى مرحلة الوعي الذاتي....

وما تزال هذه الحيرة تطرح بشكل آخر تتخذ لبوس هذا الجدل القائم حول قضية الالتزام،وتتمثل في ذلك الصراع بين الإيديولوجية والفن،فالإيديولوجية تمثل تفكيرا وموقفا فكريا محددا في حين أن الفن طليق بلا حدود،فإذا نحن أخضعنا الحرية للقيود،ونحن بهذا نضحي بالفن من أجل الفكرة أو الموقف وهكذا نخلص إلى القول أن النظرة الأحادية التي تهتم بالمضمون دون الاهتمام بالشكل،وتعني بالتعبير عن المواقف الجماعية على حساب العاطفة الفردية والتي تتصور أن الحماسة والثورة تستوجبان لغة[1] خطابية صاخبة،وأن عدم العناية بمستلزمات التعبير الشعري وعناصره الفنية كالصورة،والعاطفة، والاكتفاء عوضا عن ذلك بالجزالة اللفظية،والمبالغة والتهويل، والحماسة الفياضة، في أسلوب تقريري مباشر هي التي جنت على أغلب ما قيل من شعر في مرحلة الثورة

[1] :مجلة الثقافة،العدد 86، محمد ناصر، ص 148

التحريرية، وجردته من ملامح الفن بل إن بعض هذا الإنتاج ليشتمل على دواوين كاملة محسوبة على الشعر وما هي من الشعر في شيء.[1]

[1] :مجلة الثقافة، العدد 86، محمد ناصر.ص150

الفصل الثاني

جماليات قصيدة المقاومة عند مفدي زكريا

المبحث الأول:السيرة الشخصية لمفدي زكرياء.

هو مفدي زكرياء بن سليمان لقبه آل الشيخ أو آت الشيخ[1] ولد ببني يزقن من قرى وادي ميزاب بالجنوب الجزائري في 12 أفريل 1908 [2] بدأ تعلمه بالكتاب في مسقط رأسه وفي السابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة حيث يعمل أبوه تاجرا،وفيها واصل دراسته.

في سنة 1924 ذهب إلى تونس ضمن بعثة طلابية، فزاول دراسته بمدرسة السلام ثم بالمدرسة الخلدونية ثم بجامع الزيتونة،حيث رجع إلى الجزائر في أواخر سنة 1926 وقد بدأ حياته الشعرية الجادة بقصيدة "إلى الريفين" نشرها في جريدة "لسان الشعب" في ماي 1925 وجريدة "الصواب" التونسيتين ثم في الصحيفتين المصريتين "اللواء" و "الأخبار".

لم يستطع مفدي زكرياء أن يتخلى عن التفاعل الحميم مع الحركة الوطنية بشعره ونضاله على مستوى الجزائر والمغرب العربي،مما أدى إلى اعتقاله في فترة دراسته بتونس،فاعتقل لمدة نصف شهر كما أدخل السجن لمدة سنتين من عام 1937 إلى عام 1939.

وغداة اندلاع الثورة التحريرية الكبرى انخرط في أولى خلايا جبهة التحرير الوطني بالجزائر العاصمة،وألقي عليه وعلى زملائه المشكلين لهذه الخلية القبض ،فأودعوا السجن بعد محاكمتهم، فبقي فيه لمدة ثلاث سنوات من أبريل 1956 إلى فبراير 1959.

وبمجرد خروجه من السجن فر إلى المغرب ،ومنه انتقل إلى تونس للعلاج مما أصابه في السجن من آثار التعذيب،وبعد ذلك كان سفيرا لقضية الجزائرية بشعره في الصحافة التونسية والمغربية كما كان سفيرها أيضا في المشرق لدى مشاركته في مهرجان الشعر العربي بدمشق سنة 1961[3] .

---

[1] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحي الشيخ صالح، ص38

[2] :تاريخ الأدب الجزائري،محمد الطمار، ص412

[3] :المرجع السابق،ص 44/43

شخصية مفدي زكرياء:

إن شخصية مفدي –على لسان أصدقائه–تمتاز بالتفتح والبساطة وعدم الانطواء والتعقد،فقد كان دمث الأخلاق ،سمح الطبع،لطيف المعشر،كثير الميل إلى التنكيت والدعابة، دائم التبسم، لا تفارق البسمة محياه حتى في أحلك الظروف،سريع الانسجام بالآخرين، بحيث يخيل للذي يتعرف عليه أول مرة، ويحادثه في أول لقاء أنه يعرفه منذ أمد طويل،بعيد في علاقاته بالآخرين عن التصنيع والتكلف، كريم إلى حد التهور،يمد يد المساعدة لأصدقائه دون تحفظ.

ومن جهة أخرى كان معتدًا بشخصيته في غير صلف ولا كبرياء،يتشبث بآرائه ومواقفه يحب دائما أن يكون سيد مواقفه واختياراته ،رافضا التبعية والإضافة شديد الصراحة والجهر بآرائه التي يؤمن بها،مما عرضه لكثير من المشكلات والمضايقات،لقد كانت تراوده أمنيتان في حياته:

أولا:أن يجمع شعره الذي قاله منذ بداية رحلته الشعرية في العشرينيات إلى سنة 1954،لأنه موزع بين جرائد ومجلات مختلفة،وقد صعب تحقيق هذا على الشاعر نوعًا ما،نظرًا إلى أنه يتصف بعادة غير محمودة في هذا المجال،وهي أنه لم يكن يستعمل–أبدا– كراسا أو دفترا يدون فيه ما ينظم من شعر،كما يفعل أغلب الشعراء بل كان يسجل قصائده في أوراق مستقلة سهلة الضياع ثم أن أكثر قصائده لا يملك نسخا منها، بينما يملكها أصدقاؤه والمهتمون بشعره.

ثانيا:أن يكتب مذكرات حياته،خاصة السياسية والنضالية منها،منذ التحاقه بحزب نجم شمال إفريقيا في الثلاثينيات،وهو يعتقد أنها ستكون مهمة وثرية ومثيرة أيضا،لأنه عايش جميع أحداث الحركة الوطنية منذ نشأتها،وكان من أقطابها واحتك بجميع الشخصيات التي كان لها دور هام في الحركة الوطنية بعامة والثورة المسلحة بصورة خاصة[1].

[1] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحي الشيخ صالح، ص 50/49

وكان يقول:"أن أمثال العربي بن مهيدي وعبان رمضان من أصدقائي الحميمين،بل من تلاميذي في حزب الشعب وأعرف عنهم الكثير".

توفي شاعرنا وشاعر الثورة الجزائرية –مفدي زكرياء- في 3 رمضان 1397ه الموافق ل 17 أوت 1977 بتونس،ونقل جثمانه إلى الجزائر ليدفن بمسقط رأسه ببني يزقن وهكذا ودع شاعرنا الحياة بعد رحلة نصف قرن من العطاء المستمر في مجالات الأدب والصحافة والنضال.[1]

[1] :مفدي زكرياء شاعر مجد الثورة،حوارات وذكريات بلقاسم بن عبد الله ،طبعة دار هومة الجزائر،ط2، 2003، ص 18

المبحث الثاني:السيرة الأدبية لمفدي زكرياء:

لقد تفجرت موهبة مفدي زكرياء الشعرية مبكرا في أوائل سنة 1925 بمحاولة رثاء "كبش العيد" بمناسبة عيد الأضحى المبارك متأثرا بالشاعر أبي العلاء المعري كما يذكر ذلك في حواره المنشور بجريدة الشعب الثقافي (5 أوت 1972)وتلتها قصيدة الملتهبة "إلى الريفين" في تمجيد كفاح الشعب المغربي الشقيق بقيادة الزعيم عبد الكريم الخطابي ضد المحتل الإسباني وقد نشرها بجريدة "لسان الشعب" بتونس بتاريخ 6 ماي 1925 قبل أن تنشر بعد ذلك بكل من جريدة "الصواب" التونسية وفي صحيفتي "اللواء والأخبار" بمصر.

وظل مفدي زكرياء ينشد هذه القصيدة بحماسه المعهود على منبر نادي الحزب الحر الدستوري التونسي،واعتقل من أجلها مدة نصف شهر ثم أطلق صراحه واتصلت حياة مفدي زكرياء الأدبية اتصالا جذريا بنشاطه السياسي الوطني ويدل إنتاجه الشعري الذي نشره في السنوات 1927-1930 بجريدتي الشهاب ووادي ميزاب إنه كان متواجدا بالجزائر مشاركا في أحداثها متتبعا لتطوراتها الاجتماعية والسياسية ولاسيما في إطار الحركة الإصلاحية.

-في 17 أكتوبر 1936 ألف شاعرنا نشيد حرب نجم شمال إفريقيا المعروف "نداء الجزائر روحي ومالي" الذي أصبح نشيدا لتجمع وتوحد المناضلين الوطنيين.

-في 5 مارس 1937 نشرق قصيدته الشهيرة "بردة الوطنية الجزائرية" بصحيفة الشهاب التونسية وتتضمن 43 بيتا مع كلمة تقديم بليغة بقلم الشاعر الكبير بيرم التونسي صاحب هذه الجريدة.

-في 27 أوت 1937 أصدر جريدة الحزب باللغة العربية باسم الشعب فكان رئيس تحريرها وكتب معظم مواد عددها الأول قبيل اعتقاله في نفس اليوم صحبة الزعيم مصالي الحاج[1].

[1] :مفدي زكرياء شاعر مجد الثورة،بلقاسم بن عبد الله ،ص 15 وما بعدها

ومن داخل السجن الاستعماري نظم مفدي زكرياء نشيد الشهداء "اعصفي يا رياح" بتاريخ 29 نوفمبر1937 وساهم في إصدار جريدة "البرلمان الجزائري" التي ظهر عددها الأول في 18 أوت1939 وصدر منها سبعة أعداد قبل توقيفها في 27أوت 1939 من السلطات الاستعمارية.

-كما أنجز شاعرنا مفدي زكرياء قصيدة مطولة عن حضارة وأمجاد مدينة تلمسان بتاريخ 10جويلية1975 غير أنه حرم من إلقائها أمام المشاركين في الملتقى التاسع للفكر الاسلامي بتلمسان حيث شعر بالملاحقة والمضايقة فاضطر للفرار خفية إلى المغرب الأقصى[1].

وقد ترك مفدي زكرياء بعد رحلة نصف قرن من العطاء المستمر في مجالات متعددة "الأدب،الصحافة،النضال" أربعة دواوين مطبوعة هي:

1-ديوان "اللهب المقدس":طبع ثلاث طبعات الأولى في 25نوفمبر 1961 بالمكتب التجاري ببيروت والثانية ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر سنة 1973 والثالثة سنة 1983 قامت بها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر .

2-"تحت ظلال الزيتون":طبعته الأولى عند دار النشر بتونس سنة 1965

3-"إليادة الجزائر":طبعت في 1972/07/24 ضمن منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية بالجزائر وهذه الطبعة حوت 600 بيت فقط ثم نشرت كاملة في المجلد الأول من محاضرات الملتقى السادس للفكر الإسلامي سنة 1972.

4-"من وحي الأطلس":طبع بالمغرب الأقصى سنة 1976 بالإضافة إلى قصائد أخرى متفرقة في الجرائد والمجلات[2].

[1] :مفدي زكرياء شاعر مجد الثورة،بلقاسم بن عبد الله ،ص 18

[2] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحي الشيخ صالح،ص 51/50.

المبحث الثالث: نموذج تطبيقي"قصيدة الدبيح الصاعد"

أ:القصيدة:

قَامَ يَختَالُ كَالَمسيحِ وَئيدَا يَتَهَادَى نَشوَانَ،يَتلُو النَشيدَا.
باسم الثَغر،كَالملائكَ،أَو كَالطِ فْلِ،يَسْتَقْبِلُ الصبَاحَ الجَدِيدَا.
شَامِخًا أَنْفهُ،جَلَالًا وَتِيهًا رَافِعًا رَأْسَهُ،يُنَاجِي الخُلُودَا.
رَافِلاً فِي خَلَاخِل،زَغْرَدَتْ تَم لَأُ مِنْ لَحْنِهَا الفَضَاءَ البَعِيدَا.
حَالِمًا،كَالكَلِيم،كَلَّمَهُ المجْ دُ،فَشَدَ الحِبَالَ يَبْغِي الصُعُودَا.
وَتَسَامَى،كَالرُوح،فِي لَيْلَةِ القَدْ رِ،سَلَامًا،يُشِّعُ فِي الكَون عِيدَا.
وَامْتَطَى مَذبَحَ البُطُولَة مَعْ رَاجًا،وَوَافَى السَّمَاءَ يَرْجُوا المزِيدَا.
وَتَعَالَى،مِثْلَ المؤمن،يَتْلُو كَلِمَات الهُدَى،وَيَدْعُوا الرُقُودَا.
صَرِخَة،تَرْجِفُ العَوَالَم،مِنْهَا وَنِدَاءٌ مَضَى يَهُزُ الوُجُودَا.
"اشنقُونِي،فَلَسْتُ أَخْشَى حِبَالًا وَاصْلبُوُنِي،فَلَسْتُ أَخْشَى حَدِيدا"
"وَامْتَثَلَ سَافِرًا محيَاك جَلَا دِي،وَلاَ تَلْتَثِم فَلَسْتُ حَقُودَا"
"وَا قْضِ يَا مَوْت فِي مَا أَنت قَاضٍ، أَنَا رَاضٍ،إِنْ عَاشَ شَعْبِي سَعِيدَا"
"أَنَا إِنْ مِت،فَالجَزَائِر تَحيَا، حُرَة،مُسْتَقِلَة، لَنْ تَبِيدَا"
قَوْلَةٌ،رَدَّدَ الزَمَانُ صَدَاهَا قُدُسِيًا،فَأَحْسَنَ التَرْدِيدَا.
احفظوها زَكِيَةً كَالمثَانِي وَانْقُلوُهَا،لِلْجِيل،ذِكْرًا مَجيدَا.
وَأَقِيمُوا من شَرْعِهَا صَلَوَاتٍ طَيِبَاتٍ،وَلَقِنُوهَا الوَلِيدَا
زَعَمُوا قَتْلَهُ وَمَا صَلَبوه لَيْسَ فِي الخَالِدِينَ ،عِيسَى الوَحِيدَا
لَفَهُ جِبْرِيل تَحتَ جَنَاحَيْ هِ إِلَى المنْتَهَى رَضْيًا شَهِيدَا.
وَسَرَى فِي فَمِ الزَمَان"زَبَانَا" مثلا،فِي فَمِ الزَمَان شُرُودَا[1]

[1] اللهب المقدس مفدي زكرياء ،موفم للنشر ،الجزائر،ط3 ،2000 ،ص9 وما بعدها .

يَا"زَبَانَا" أَبْلِغ رِفَاقَكَ عَنَا فِي السَّمَاوَاتِ قَدْ حَفِظْنَا العُهُودَا

وَارو عَن ثَورَةِ الجَزَائِر،لِلأفْ لَاكِ،وَالكَائِنَات،ذِكْرًا مَجِيدَا.

ثَوْرَةٌ،لَم تَكُن لبغي وَظُلم فِي بِلاَدٍ،ثَارَت تَفُكُ القُيُودَا.

ثَوْرَةٌ،تَملأ العَوَالِمَ رُعْبًا، وَجِهَادٌ،يَدْرُو الطُغَاةَ عَمِيدَا.

كَمْ أَتَيْنَا من الخَوَارِق فِيهَا وبَهرْنَا،بِالمعْجِزَاتِ الوُجُوداَ.

وَانْدَفَعْنَا،مِثْلَ الكَوَاسِر نَرْتَا دُ المَنَايَا،وَنَلْتَقِي البَارُودَاَ.

مِن جِبَالٍ رَهِيبَة،شَامِخَات قَدْ رَفَعْنَا عَلى ذُرَاهَا البُنُودَا

وَشِعَابٍ،مُمَنَّعَاتٍ،بَرَاهَا مُبْدِعُ الكَوْنِ لِلْوَغَي أُخْدُودَا

وَجُيُوشٍ،مَضَتْ،يَدَ اللهِ تُزْ جِيهَا،وَتَحمِي لِوَاءَهَا المعْقُودَا.

مِن كُهُولٍ،يَقُودُهاَ الموْتُ لِلنَ صْرِ،فَتُفتكُّ نَصْرَهَا الموْعُودَا.

وَشَبَابٍ مِثْلَ النُسورِ تَرَامَى لَا يُبَالِي بِرُوحِه،أَن يَجُودَا[1]

وَشُيُوخٍ مُحَنَّكِينَ،كِرَامٌ مُلِّئَت حِكْمَةً وَرُأيًا سَدِيدَا.

وَصَبَايَا،مُخَدَّرَاتٍ تُبَارِي كَاللُّبُوءَات،تَسْتَفِزُ الجُنُودَا.

شَارَكتْ فِي الجِهَاد آدمَ حَوَا هُ،وَمَدَّت مَعَاصِمًا وَزُنُودَا.

أَعْمَلَت فِي الِجرَاح،أَنمَلَهَا اللَّ دنَ،وَفِي الحَرْبِ غُصنَها الأُمْلُودَا

فَمَضَى الشَّعْب،بِالجَمَاجِم يَبْنِي أُمَةً حُرَة،وَعِزاً وَطِيداَ.

مِن دِمَاءٍ،زَكِيَة،صَبَّهَا الأَحْ رَارُ فِي مصْرَفِ البَقَاء رَصِيدَا.

وَنِظَامٍ تَخُطُّه "ثَورَةُ التَحْ يرِ" كَالَوحْيِ،مُسْتَقِيمًا رَشِيدَا.

وَإِذَا الشَّعْب،دَاهَمَتْهُ الرَزَايَا هَبَّ مُسْتَصْرِخًا وَعَافَ الرُكُودَا.

وَإِذَا الشَّعْب،غَازَلَتْهُ الأَمَانِي، هَامَ فِي نَيْلِهَا،يَدُكُّ السُدُودَا.

[1] اللهب المقدس ،مفدي زكرياء ،ص 12

دَولَةٌ الظُلْمِ لِلزوَالِ،إذَا مَا أَصْبَحَ الحرّ لِلطَّعَامِ مَسُودا

لَيسَ فِي الأَرْضِ سَادَة وَعَبِيدُ كَيْفَ نَرْضَى بِأَن نَعِيشَ عَبِيدَا؟

أَمِنَ العَدْلِ،صَاحِبُ الدَارِ يَشْقَى وَدَخِيلٌ بِهَا،يَعِيشُ سَعِيدَا؟

أَمِنَ العَدْلِ،صَاحِبُ الدَارِ يَعرَى وَغَرِيبٌ يَحْتَلُّ قَصْرًا مُشَيَدا؟

وَيَجُوعُ ابْنُهَا فَيُعْدَمُ قُوتًا وَيَنَالُ الدَخِيل عَيشًا رَغِيدَا؟؟[1]

وَيُبِيح المسْتَعْمِرُونَ حِمَاهَا وَيَظَلُ اِبْنُهَا،طَرِيدًا شَرِيدَا؟؟

يَا ضِلَالَ المسْتَضْعَفِينَ،إذَا هُم أَلِفُوا الذُّلَ،وَاسْتَطَابُوا القُعُودَا

لَيْسَ فِي الأَرْضِ بُقعَة لِذَلِيل لَعَنَته السَمَا،فَعَاشَ طَرِيدَا...

يَا سَمَاء،اصْعَقِي الجَبَانَ وَيَا أَرْ ضُ ابْلَعي،القَانِعَ،الخَنُوع ،البَلِيدَا

يَا فِرَنْسَا،كَفَى خِدَاعًا فَإِنَّا يَا فِرَنْسَا،لَقَد مَلَلْنَا الوُعُودَا

صَرَخَ الشَّعبُ مُنْذِرًا،فَتَصَا مَمْتِ،وَأَبْدَيْتِ جَفْوَة وَصُدُودَا.

سَكَتَ النَاطِقُونَ،وَانْطَلَقض الرَشَ اش،يُلْقِي إِلَيكَ قَولًا مُفِيدَا:

"نَحْنُ ثُرْنَا،فَلَات حِينَ رُجُوعٍ أَو نَنَالَ استِقْلَالَنَا المنْشُودَا"

يَا فِرَنسَا،امطِرِي حَدِيدًا وَنَارَا وَامْلَئِي الأَرْضَ وَالسَمَاءَ جُنُودَا

وَاضْرِمِيهَا عَرْضَ البِلاَدِ شَعَالِي لَ،فَتَغدُو لَهَا الضِعَاف وَقُودَا.

وَاسْتَشِيطِي عَلَى العُرُوبَة غَيْظًا وَامْلَئِي الشّرْقَ وَالهِلَالَ وَعِيدَا.

سَوْفَ لَا يُعْدَم الهِلاَل صَلاَح الدِ ين،فَاسْتَصرِخِي الصَلِيبَ الحَقُودَا.

وَاحْشُرِي فِي غَيَاهِبِ السِّجْنِ شَعْبًا سِيمَ خَسَفًا،فَعَادَ شَعْبًا عَنِيدَا.

وَاجْعَلِي"بَرْبَرُوسَ"مَثْوَى الضَحَايَا إِنَّ فِي بَرْبَرُوسَ مَجْدًا تَلِيدَا؟

وَارْبِطِي فِي خَيَاشِمِ الفلك الدُوِّ ار حَبْلًا،وَأَوثِقِي مِنْهُ جَيدَا.

عَطِلِي سنة إِلَّا لَهُ كَمَا عَطَ لت مِن قَبل "هُوشَمِين"المرِيدَا...

[1] المصدر نفسه ص 16/15

إنَّ مَن يُهْمِلِ الدُرُوسَ،وَيَنْسَى ضَرَبَاتَ الزَمَان،لَن يَستَفِيدَا...

نَسِيَتْ دَرْسَهَا فِرَنسَا،فَلِقنّا فِرَنْسَا بِالحَرْبِ،دَرْسًا جَدِيدًا.

وَجَعَلْنَا لِجُندِهَا(دَارَ لُقْمَا نَ)قُبُوراً،مَلْءَ الثَرَى وَلُحُودَا.

يَا "زَبَانَا"وَيَا رِفَاقَ"زَبَانَا" وَتَمَنَى بِأَن يَمُوتَ "شَهِيدَا".

أَنْتُم يَا رِفَاقَ،قُرْبَان شَعْبٍ كُنْتُم البَعْثَ فِيه وَالتَجْدِيدَا.

فَاقْبلُوها ابتِهَالَة،صُنْعَ الرَشَا اش،وَأَوْزَانُهَا فَصَارَت قَصِيدَا

وَاسْتَرِيحُوا،إِلى جِوَار كَرِيمٍ وَاطْمَئِنُوا،فَإِؤنَنَّا لَنَا نَحِيدَا[1].

[1] اللهب المقدس،مفدي زكرياء ، ص 16 ،

ب:التحليل

***مناسبة القصيدة:**

نظمت هذه القصيدة في سجن بربروس في القاعة التاسعة الهزيع الثاني من الليل،أثناء تنفيذ حكم الإعدام على أول شهيد دشن المقصلة المرحوم" أحمد زبانا "وذلك ليلة 18 جويلية 1955[1]،لقد رسمت الصورة التي أخذها "أحمد زبانا" لينفذ عليه حكم الإعدام لمفدي زكرياء منظرا،وتابعته في سيره حتى بلغ المقصلة تابعته وهو يختال كالمسيح وعلى شفتيه تمتمة النشيد لأنه يعرف جيدا نهاية رحلة حياته ومطمئن إلى مصيره وما يلقى في سبيله من العنت والعذاب،وهو مستهين بكل ذلك في سبيل رسالته،وإن من حوله ممن حاول صلبه وقتله لا يفقه من ذلك شيئا،وعلى ثغره ترتسم ابتسامة الملاك أو الطفل،وهو يستقبل الصباح الجديد[2] إنه شامخ الأنف جلالًا وتيهًا،لأنه يدرك جيدا قيمة موته وحقارة جلاديه،ويرفع رأسه نحو السماء ليناجي فيها الخلود الذي ينتظره ليضمه إليه بعد لحظات،وإن الأغلال في رجليه ليست حديدًا يصدر صوتًا تنفر منه الآذان،بل هي خلاخل أطلقت زغاريد ملأت ألحانها هذا الفضاء المتجهم.

ويبدو حالما كالكليم الذي يتلقى صوت الله،فينقله ذلك الصوت إلى عوالم من التفكير والإغراق تذهله عما حوله،كيف لا وقد كلمه المجد من السماء غير أنّه لم يكتف بالمكالمة ،وإنّما طفق يشد الحبال –حبال المقصلة-استعجالا منه للصعود إلى المجد ومعانقته وإنّه في صعوده ذلك يشبه الملاك جبريل-عليه السلام-وهو يرجع إلى السماء في ليلة القدر بعد أن نشر في الأرض السلام،وأشاع في الكون فرحا وابتهاجا[3].

[1] :اللهب المقدس ،مفدي زكريا،ص 09

[2] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،دار البعث قسنطينة،ط1، 1987، ص 320

3:المرجع نفسه،ص321

***أقسام النص وأفكاره:**

لقد راح مفدي يجمع هذا الزمن التقني الموضوعي ليكون دائرة كبرى تتواصل فيها كل الدوائر الأخرى ،دوائر الفداء والابتلاء لأكرم الناس ممن حملوا تاريخ أممهم أو حملوا رسالات السماء أو براءة الحياة وفطرة الانتماء،بكل صفائها ونقائها، وروحانيتها وسماحة المثل العليا ،لأنه كان في محراب الإيمان،وكان التاريخ مرآة يقتبس منها ما يشاء من الصور التي كانت في هذا الزمن الكوني أو حدثت فيه.[1]

ولأن زبانا كان يعانق حياة أخرى،وكان أقرب ما يكون بين الكاف والنون فكان ذلك الهمس وكانت تلك السكينة ،وكان الحلم الهادئ الواصل بين السماء والأرض،ولأن الرجل كان بين يدي خالقه،كانت صور الإنسان المظلوم المقهور تحت أيدي جلاديه أقوى من هذا الجلاد الملثم الخانق،صور جعلت مفدي إنساني الرؤيا،رسالي المبدأ فكان كل شيء يعلو ولا يتسافل،لأن الحق يعلو ولا يعلى عليه.[2]

"اشنُقوني،فَلَستُ أَخشَى حبَالاً واصلُبُوني،فَلَستُ أَخشَى حَديدَا"

"وامتثل سافرا محياك جلا دي،ولا تلتم فلست حقودا"

"ما قض يا موت في ما أنت قاض، أنا راض،إن عاش شعبي سعيدا"

"أنا إن مت،فالجزائر تحيا، حرة،مستقلة، لن تبيدا"[3]

هكذا صور مفدي "أحمد زبانا" وهو يتقدم نحو المقصلة حتى انتهى إليها يتمثل الحق الذي يخرج من ظلمات السجن،وصورة الذجر الذي يتنفس كل ليل،لأنّ الشدائد محك الرجال،وهذه الصورة الكبيرة تركيبة لصور جزئية عديدة تآزرت لتكون صورة واحدة متناسقة الظلال،موحية الألفاظ لم تقتصر على رسم الملامح فحسب،وإنّما امتلكت إشعاعًا أضاء جوانب الصورة وعمق أبعادها الكثيرة،فالتشبيه بالمسيح مثلا يرمز من الجانب

[1] مجلة المخبر،الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد،حنان بومالي،ع 8، 2012، ص 175.
[2] :مجلة الحياة،تأملات في سجنيات مفدي زكرياء،محمد زغيبة،ع6، 2000، ص 232/231
[3] اللهب المقدس،مفدي زكرياء،ص 11/10

الخارجي إلى عملية الاضطهاد ومحاولة الصلب بكل ما فيها من وحشية وقسوة ،ومن الجانب الداخلي يرمز إلى اللامبالاة،بل والسعادة التي تغمر قلب الشهيد،لأن المسيح عندما اضطهد وسير به نحو الصلب،كان يسير سيرة الآمن المطمئن ،ولم تكن ترتسم على وجهه إلا علامات الغبطة والرضا.

***رمزية الموت في القصيدة:**

وهكذا "فأحمد زبانا" هو الآخر لا يرعبه الموت الذي يراه منتصبا أمامه على بعد خطوات، بل إنه فخور بتلك النهاية سعيد بذلك المصير ،لأنه يعرف قداسة مبدئه الذي يموت في سبيله،فالموت عنده "يقظة وابتداء لبعث جديد يتسم بالصلابة فهو يدخله ويتفاعل معه بوصفه تشكيلاً لذات ترفض الاستسلام والخنوع والاعتراف بالهزيمة والرضا بالتشظي والانكسار بل إن الموت تطهير وخلاص يعتمد على المواجهة لا الانسحاب"[1]

واللفظ "قام" يوحي بمعنى التجلد والمبادرة إلى الموت،فلم يؤخذ المحكوم عليه أخذًا ولم يحمل إلى المقصلة حملاً بل قام إليها من تلقاء نفسه،تحمله إليها قدماه،كما أن استقبال الصباح الجديد يوحي بأبعاد أخرى في الصورة ،فالصباح لا يكون إلا بعد الليل،ثم إن عملية الاستقبال تكون عادة عند الشعور بأهمية الشيء المستقبل.

أو قد تكون هروبًا من شيء يسبق ذلك الشيء المستقبل وهو الليل هنا،ذلك الليل الذي أصبح يرمز للفداء والتحرر،لأن ليلة أول نوفمبر فرضت نفسها فكان كل ما يوحي بالليل دليلاً على النهار،وكان الليل هو المركز وقطب الرحى للأحداث التي تتوالى[2].

وعبارة "خلاخل زغردت" تشير إلى إيحاء عميق المغزى،وهو أن "زبانا" شخص حكم عليه بالإعدام وهو يسير نحو الموت ثم القبر بعد ذلك،بل هو عروس تسير في حفل زفافها نحو

[1] تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر،عبد الناصر هلال،مركز الحضارة العربية،القاهرة،ط1، 2005، ص 36

[2] :تأملات في سجينات مفدي زكرياء، محمد زغينة،ص 231

بيتها الجديد،وفي وجدانها تتراقص الأماني ،العذاب،ومن خلاخلها ترتفع ألحان تملأ الفضاء بزغاريدها.

مما يثير الدهشة والاستغراب إشراق وجه الصورة وإشعاعه بالمرح والحبور وكأنّها لا تتحدث عن رجل يتقدم إلى المقصلة لتزهق روحه بعد لحظات،وإنما عن إنسان يعيش لحظات كلها سعادة وهدوء ،ونشوة وأقل ما يقال في هده الصورة أن مفدي لم يكن بعيدا عن الواقع،بل مشدودًا إليه موغلًا في أعماقه،وإن إشراق الصورة هو نتيجة لإشراقة نفسه،وما خلعه عليها من نشوة وانطلاق كان يعيشه الشاعر فعلا وبكل مشاعره.

وحالته النفسية هي حالة الرضا والغبطة بتحقيق مكسب عظيم وشعوره كان شعور الزهو والخيلاء،شعور من يَشتم رائحة الانتصار تحملها النسائم.من أجواء بعيدة جدا فالشاعر يشتم الانتصار ولا يتلمسه،لأن هذا الانتصار لا يكمن في الواقعة المأساوية المعيشة "إعدام أحمد زبانا "بقدر ما يكمن في النتائج البعيدة لتلك المأساة[1].

لكن هذا لا ينفي عدم تأثر مفدي بإعدام زميله ورفيقه بالسجن بل كان متأثرا أبلغ التأثر،ولكن تأثره كان من نوع خاص لا يرافق دائما قضايا الموت وحوادث الإعدام بل هو شعور نحو من قضى نحبه في سبيل مبدأ مقدس هو "تحرير الوطن" إنه ألم يتسامى حتى ينقلب إلى غبطة ورضى،وهذا ما قدمه في القصيدة قائلا ومؤكدا أن الثورة في الجزائر لم تندلع إلا بعد أن أثبتت الحلول السياسية والوسائل السلمية فشلها في تحقيق الاستقلال ومنح الشعب أمنه واستقراره.[2]

يا فرنسا،كفا خداعا فإنا يا فرنسا،لقد مللنا الوعودا

صرخ الشعب منذرا،فتصا ممت،وأبديت جفوة وصدودا.

سكت الناطقون،وانطلق الرش اش،يلقي إليك قولا مفيدا

[1] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحكى الشيخ صالح،ص 324/323

[2] مجلة المخبر ،الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد،حنان بومالي،ع8، 2012،ص177

"نحن ثرنا،فلا تحين رجوع أو ننال استقلالنا المنشودا"[1]

ما دامت الوسائل السلمية غير مجدية جدوى "الرشاش الناطق" وما دامت الثورة المسلحة لا تتم إلا بضحايا تقدمها ثمنا لتحقيق هدفها،وتقديم الضحايا سيكون صورة لا مفر منها لإنجاح الثورة وتحقيق الاستقلال ،ويصبح الاستشهاد في سبيل الثورة شيئا يبهج النفس ويثلج الصدر،إذ أن كل ضحية خطوة نحو الأمام في تحقيق النصر "والموت في سبيل الحرية للجزائر،أمر تفرضه ضرورة الموقف أيضا،لأنّها لن تتحرر إلاّ بذلك ،وهي المسؤولية التي تقود الشاعر إلى مثل هذا الموقف"[2].فلا غرابة إذن أن يودع "زبانا" المعدوم بالزغاريد والهتاف وألا تذرف عليه الدموع إلّا ما كان منها للفرح والوداع.

***التصوير الفني في النص:**

فبعض الصور وردت عند مفدي زكرياء في شكل صور بلاغية بسيطة "تشبيه واستعارة" وبعضها الآخر في شكل صور فنية مركبة،فمن الأولى استخدامه للتشبيه في قوله في مطلع القصيدة.

قام يختال كالمسيح وئيدا يتهادى نشوان يتلوا النشيدا.[3]

وظف شخصية المسيح ليرمز بها إلى ما يتمتع به أول شهيد بسجن بربروس من ثبات،على المبدأ واستهانة بالألم وبالموت في سبيل القضية التي يؤمن بها،ومن تضحية بلغت به إلى أن يقدم نفسه فداء لوطنه،واستدعى شخصية المسيح باللقب "المسيح" وليس بالاسم "عيسى" "لأن اللقب يمثل إشارة توصيف وتعيين في الوقت نفسه،حيث يمكن الاعتماد على هذا المرتكز الدلالي،بوصفه خطوة أولى للتفرقة بين أسماء الأعلام".[4]كما قد يكون اللقب أكثر

---

[1] :اللهب المقدس مفدي زكرياء،ص 17

[2] :شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر،سالم المعوش،دار النهضة العربية بيروت،ط1،2003/ ص 370

[3] :اللهب المقدس،مفدي زكرياء، ص09

[4] :أشكال التناص الشعري،دراسة في توظيف الشخصيات التراثية،أحمد مجاهد ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر،د/ط،1998، ص 29/28

شهرة وذيوعا من الاسم المباشر ،الذي يطاد يكون مجهولا أو شبه مجهول للقارئ المتوسط،ومفدي زكرياء لا يوجه خطابه إلى النخبة المثقفة فقط وإنما للشعب الجزائري عامة.

***مصادر الرمز عند مفدي زكرياء:**

ومن الرموز التي تعتمد صورا فنية غير بلاغية ما وظفه في قوله:

زعموا قتله وما صلبوه ليس في الخالدين ،عيسى الوحيدا

لفه جبريل تحت جناحي ه إلى المنتهى رضيا شهيدا.[1]

يتحدث الشاعر عن "زبانا" الذي ذكره في مطلع القصيدة باستخدام رمز المسيح نفسه لكنه ليس لتكرار المعنى السابق،وإنما للإيحاء بمعنى آخر في نضال ذلك الشهيد وموته وهو معنى الخلود،فمعروف عن المسيح كما ورد في القرآن الكريم أن أعداءه ومضطهديه حاولوا قتله وصلبه،وأشاعوا أنهم فعلوا ذلك وأنه مجرد اشتباه ،والواقع أن العناية الإلهية أنقذته من أيديهم ورفعته إلى السماء حيث لا يزال خالدا،والمسيح ليس وحده خالدا في السماء بل إن "زبانا" خالد أيضا لم يمسسه سوء،فقد لفه جبريل تحت جناحيه وطار به إلى جنة الخلد لينعم بالحياة الآخرة فيها[2].

لم يعتمد مفدي الرمز لإخفاء المكبوت لأن ثورته علنية تأبى إلا أن تعتمد القوة وترفض كل ما دون ذلك من المناهج والسبل كما يفعل بعض الكتاب الذين يخشون السلطة الحاكمة،وإنّما لبرز الموقف أكثر فيكون أشد استلفاتا للنظر وأقدر على التأثير في النفوس وايقاضها ومن ثم كان الغرض من الرمز غرضين ،غرض جمالي هو تحاشي المباشرة في التعبير،وعرض ثوري هو استنهاض الهمم لخدمة الثورة[3].

---

[1] :اللهب المقدس ،مفدي زكرياء،ص 11

[2] :شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحي الشيخ صالح، ص338/337

[3] :مجلة الضاد،لغة القوة في شعر مفدي زكرياء،أحمد رحماني،دار الشهاب للطباعة والنشر العدد 10-1984/11 ،ص 23

إن مفدي لا يستق رموزه إلا من مصدرين اثنين هما:

1-**القرآن الكريم**:الذي يعد المنبع الأساسي لأكثر رموزه المبتوثة في سجنياته وقد استقاها بمدلولاتها ومفاهيمها التي وردت في القرآن دون تغيير وبكثير من ألفاظها أيضا،ومنها ما تقدم من شخصية المسيح عيسى –عليه السلام-التي وظفها في غير موضع ،واستحضر منها دلالات مختلفة فهي لإستيحاء القوة الخارقة ،ووسيلته في ذلك عدم الاقتصار على الجوانب التي يتهافت عليها الشعراء عامة ،والتطرق إلى جوانب أخرى في شخصيته لاستيحائها وتفجير دلالات أخرى منها.

فوظف كثيرا من الرموز التراثية الدينية غير الشائعة على ألسنة الشعراء في ذلك الوقت،وإن كانت شائعة ومعروفة في المجال الديني وماثلة في وجدان الشعب العربي المسلم ،مثل شخصيات كل من سليمان وموسى،عليهما السلام،فيستحضر رمز موسى-عليه السلام- في قوله:

حالما كالكليم،كلمة المج د،فشد الحبال يبغي الصعودا[1].

كما استحضر شخص الرسول الكريم-صلى الله عليه وسلم- في القصيدة نفسها قائلا:

وامتطى مذيح البطولة مع راجا ووافى السماء يرجو المزيدا[2].

بمعنى أنه لم يكن يميل كثيرا إلى توظيف الرموز الشائعة ،بل كان ينوعها ويوظف بخاصة التي لم تشتهر عند الشعراء من أبناء جيله،يمنحها قوة تعبيرية بما يخلع عليها من دلالات وإيحاءات تقويها وتبرزها بشكل أكثر جلاء ووضوح،هذا من جهة ومن هجة أخرى أدرك مفدي بوعيه وتعامله مع الأسلوب القرآني أن "اللغة القرآنية غنية بالصور الموحية، فالصورة القرآنية ملازمة للتعبير القرآني وهي من أبرز عناصر الجمال فيه"[3].

2-التراث العربي الإسلامي:

---

[1] :اللهب المقدس،مفدي زكرياء،ص 10

[2] المصدر نفسه،ص 10

[3] :مفدي زكرياء،محمد ناصر،جمعية التراث،غرداية،ط2، د/س،ص 106

ويأتي التراث العربي الإسلامي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم في استيحاء الرموز ،فهو الشاعر الذي قرأ التراث قراءة واعية وعاش الثورة ممارسا لها،فعذب وسجن وذاق مرارة الاضطهاد ومارس النشاط في الأحزاب،التي تقدمت الثورة المسلحة،وهو بعد ذلك"شاعر نشأ وتربى وترعرع في الجزائر التي لا تسكت عن الحق ولو وضعت الشمس في يمينها والقمر في يسارها بل لا تعرف إلا التضحيات الجسام من أجل إعلاء كلمة الحق ورفع لواء الحرية"[1].

من هذه الرموز التراثية الطريفة توظيفه أعلام التاريخ الإسلامي مثل شخصية صلاح الدين الأيوبي كمادة تصويرية حين أقر بأنه مهما طال ليل العذاب لا بد أن يأتي هلال صلاح الدين ليسفر عن وجه الصبح:

سوف لا يعدم الهلال الد ين،فاستصرغي،الصليب الحقودا[2].

إن أغلب الرموز في قصيدة "الذبيح الصاعد"،إن لم نقل جلها استقاها من القرآن الكريم،وبعضها من التراث العربي الإسلامي، وهو في توظيفه إياها لا يقتصر على المشهور منها فحسب،بل كثيرا ما يعمد إلى الرموز غير الشائعة فيجعلها تحقق صفة الرمز الكامنة في الإيحاء المستمر،وبالنسبة للمشهور منها يحرص على التجديد فيها-رمز المسيح مثلا- بالتركيز على جوانب مهملة منها ويفجر من تلك الجوانب طاقات تعبيرية موحية في الأغلب الأعم.

وهكذا يتبين من خلال المقاطع التي حللت من قصيدة "الذبيح الصاعد"أن مفدي قليلا ما يقدم صور مفردة في موضوع ما ،فهي في الغالب عبارة عن صور عديدة جزئية(صورة المسيح،صورة الطفل، صورة الكليم...)تتآزر لتشكل صورة كلية كبيرة وتتكاثف فيما بينها لتشكل بتلاحمها صورة الشهيد في موته، ثم "يعود الشاعر بعد هذه المقاطع المذكورة إلى التقرير لتظهر الصور بين الحين والآخر كظلال متباعدة وسط بيداء شاسعة فهي لا

[1] :لغة القوة في شعر مفدي زكرياء،أحمد رحماني، ص26
[2] :اللهب المقس،مفدي زكرياء، ص18

تشكل واحة متشابكة الظلال،لكنها تريح من حر الهجير من آونة إلى أخرى،شأن الصور المتناثرة في القصيدة التي تلطف الجّو وتخفف من عنت المباشرة والتقرير"[1].

ويظهر أثر هذه الأساليب المختلفة جليا من الناحية الفنية،حيث ازدادت القيمة الجمالية لهذا النص ناهيك عن قيمته التاريخية.

[1] أدب السجون والمنافي في الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي(1830-1962)يحي الشيخ صالح،مخطوط رسالة دكتوراه،جامعة الجزائر،معهد اللغة والأدب العربي،1993،ص 258.

الخاتمة

خاتمة:

ومما وقفنا عنده في الأخير من نتائج نذكر منها:

*أن شعر المقاومة يحتل مكانا خاصا في تسجيل واقع الحياة السياسية والاجتماعية في الوطن العربي،وقد استطاع هذا الغرض الشعري أن يكون أداة وسلاحا فعالا للدفاع عن قضايا الشعب،كما استطاع أن يعكس واقعه المر جراء استبداد وطغيان المستعمر.

*شعر المقاومة الحديث هو على عكس الشعر العربي المعاصر ،لا يبدأ بالاستخفاف بقيمة الكلمة في المعركة القاسية،بل يدرك دورها ويقدسه ويعتبره مسألة جوهرية لا غنى عنها.

*إن حضور القضية الفلسطينية في شعر المقاومة بأبعادها الاجتماعية والعربية والعالمية ،تدور في فلك واحد هو فلك المعركة ضد الاحتلال.

*امتلك شعر المقاومة الجزائرية جوانب فنية عديدة مكنته من اكتساب صبغة وميزة خاصة به،تجلت في جماليته الفنية التي تكمن في التلاحم بين الشكل والمضمون والالتزام بواقع الأمة الجزائرية.

*عالج مفدي زكرياء مجريات الثورة الجزائرية من خلال هذا الشعر بأسلوب شعري فني في غاية الدقة والجمال وهذا يظهر من خلال مؤلفاته العديدة التي عالج فيها هذه القضية منها:ديوان اللهب المقدس الذي يعتبر ديوان الثورة الجزائرية ،وإلياذة الجزائر.

*تعد قصيدة الذبيح الصاعد النموذج الحي بمعالجة قضية حساسة التي هي في المجتمع الجزائري وما عاناه في تلك الفترة ،فهي تعالج إعدام أول شهيد بالمقصلة الشهيد "أحمد زبانا" في سجن بربروس،وقد استطاعت هذه القصيدة أن تعكس على الرغم من قساوة الواقع مختلف جوانب هذه القضية في قالب فني جميل،ولغة رصينة تنم عن مقدرة لغوية وشعرية بالغة من لدن مفدي زكرياء.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

-اللهب المقدس،مفدي زكرياء،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر، ط4، 2006م.

المراجع:

1-الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير،نور سلمان،دار العلم للملايين، بيروت، ط1/1981.

2-الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال (1948-1968) غسان كنفاني،مؤسسة الأبحاث العربية،بيروت،ط،19681م.

3-أدب المقاومة،غالي شكري،دار المعارف،مصر، القاهرة، دط ،1970م.

4-أشكال التناص الشعري،دراسة في توظيف الشخصيات التراثية أحمد مجاهد،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،مصر، دط، 1998م.

5-تاريخ الأدب الجزائري،محمد الطمار،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،دط، 2006م.

6-تراجيديا الموت في الشعر العربي المعاصر،عبد الناصر هلال،مركز الحضارة العربية،القاهرة،ط1، 2005 م.

7-شعر الثورة عند مفدي زكرياء،يحى الشيخ صالح،دار كتاب البحث قسنطينة،الجزائر،دط، 1987م.

8-شعر السجون في الأدب الحديث والمعاصر،سالم المعوش،دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2003م.

9-قضايا عربية من الشعر الجزائري المعاصر الركيبي،دار الكتاب العربي،الجزائر،دط،2009م.

10-مفدي زكرياء شاعر مجد الثورة،حوارات وذكريات بلقاسم بن عبد الله،طبعة دار هومة،الجزائر،ط2، 2003م.

الدوريات والمنشورات:

1-جريدة الأصالة ،الجزائر في الأدب المغربي الحديث والمعاصر،عباس جراري،د/ع، نوفمبر –ديسمبر.

2-مجلة الثقافة:شعر الثورة من جانبه الفني،محمد ناصر العدد 86 جمادى الثانية،رجب 1405 ،مارس أفريل 1985م.

3-مجلة الحياة،تأملات في سجينات مفدي زكرياء،محمد زغيبة العدد 6، 2006م.

4-مجلة المناد،لغة القوة في شعر مفدي زكرياء،أحمد رحماني دار الشهاب للطباعة والنشر،العدد 10/ 11/ 1984.

5-مجلة المخبر ،الصورة الفنية في قصيدة الذبيح الصاعد،حنان بومالي، العدد8/ 2012م.

الرسائل الجامعية:

أدب السجون والمنافي في الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي (1830-1962) يحي الشيخ صالح مخطوط رسالة دكتوراه معهد اللغة والأدب العربي،جامعة الجزائر سنة 1993م.

الفهـــرس

www.dvd4arab.com

الفهرس

شكر و تقدير

الإهداء

مقدمة..... ..... أ

توطئة : الثورة الجزائرية و مفهوم البطولة .....**4.**

الفصل الأول :شعر المقاومة..... ..... **7**

المبحث الأول :مفهوم شعر المقاومة.....**8**

المبحث الثاني :شعر المقاومة العربية" القضية الفلسطينية و أبعادها.....**10**

المبحث الثالث : الجوانب الفنية لشعر المقاومة **20**

الفصل الثاني :جماليات قصيدة المقاومة عند مفدي زكريا.....**21**

المبحث الأول :السيرة الشخصية لمفدي زكريا.....**22**

المبحث الثاني :السيرة الأدبية لمفدي زكريا.....**25.**

المبحث الثالث :نموذج تطبيقي " قصيدة الدبيح الصاعد.....**27**

الخاتمة **40**

قائمة المصادر والمراجع.....**41.**

الفهرس:.....**44**

.

ملخص :

يعد شعر المقاومة من أكثر الأنواع الأدبية قدرة على امتصاص رحيق الكارثة و مقاومتها في حينها كما أن الالتزام بالقضية الوطنية و هو الإطار الدي استطاع أن يقود خطوات شعلر المقاومة نحو مسؤولياته دون ان يفقد أيا من أبعاده ،ويعتبر مفدي زكريا من أكثر الشعراء تطرقا لهدا الموضوع في الجزائر حتى لقب بشاعر الثورة الجزائرية بامتياز ودلك ما تجلى من خلال معالجته لقضايا الشعب الجزائري في فترة حرجة من فترات الوجود الاستعماري فاستطاع أن يعكس إلى حد بعيد واقع الثورة الجزائرية في قصائده دات البعد التاريخي والفني ‘والتي جمعت في ديوانه اللهب المقدس.

Summary

Longer felt the risistance of the most literary genres ability to absorbe the nectar of the disasaster and its risistance in atimely manner as the commitment to national cause is the framework wich was able to lead the steps felt resistance to ward is responsibilities without losing any of its dimensions and longer ZAKARIA of the most poets touched to this topic in Algeria unitil the title of poet Algerian révolution par exellence and knead as demonstrated by hishandling of the issues of the Algerian people in a critical period of colinial presence and thus enable that to a large extent reflects the reality of the Algerian revolution in his poems bearing after the historic artistic and collected in his book THE SACRED FLAME

Résumé

Sentait plus la résistance des genres capacité laplus littéraire pour absorber le nectar de la catastrophe et sa réistance en temps opportum que l’engagement a la cause national est le cadre qui était en mesure de conduire les étapes senti résistance envers ses reponsabilités sans perdre aucune des ses dimensions et plus MOFDI ZAKARIA de la plupart des poétes touché a ce sujet en Algérie jusqu'à ce que le titre poéte Algérie révolution par exellence et pétrir comme en témoigne sa gestion des problémes des peuple algérien dans une périodes de présence coloniale et de permettre ainsi que dans une large mesure réfléte la réalité de la révolution Algérienne dans ses poémes portant après l’hitorique artistique et recueilli dan son livre LAFLAMME SACRée .